

لقرآن والعلم

٢

﴿تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب﴾

في رد الشبهات التي يوردها الأفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

المسألة الثالثة

﴿ذو القرنين ومطلع الشمس ومغربها﴾

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين (١٨: ٨٦) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة ووجد عندها قوماً إلى قوله (٩٠) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

تقول العرب بلغ فلان مغرب الشمس أو وصل إلى المشرق إذا سار إلى أقصى ما عرف لهم من المسكونة في جهتي الشرق والغرب فكان الكلام على تقدير مضاف أي وصل فلان إلى أرض المغرب أو أرض المشرق ومعنى ذلك أنه وصل إلى آخر أرض تغيب عنها الشمس أو إلى أول أرض تشرق عليها بحسب علمهم وإلى الآن تقول جميع الأمم الراقية «بلغ فلان الشرق الأقصى أو المغرب الأقصى» إذا سافر إلى بلاد اليابان أو إلى بلاد مراكش ويسمون هذه البلاد بلاد الشرق أو المشرق وبلاد الغرب أو المغرب ولا يعنون بذلك سوى أنها أول بلاد من الدنيا القديمة تشرق عليها الشمس وآخر بلاد تغرب عنها فعنى قوله تعالى «حتى إذا بلغ مغرب الشمس» أنه وصل إلى آخر أرض معروفة للعرب تغيب عنها الشمس ويسمونها المغرب .. ومهما كان الإنسان عالماً فإنه لا يتحاشى أمثال هذه التعابير المهودة للبشر فكذلك القرآن الشريف

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي

(المجلد الحادي عشر)

(٣٦)

(المنارج ٤)

فانه جري عليها وكذلك كل كتاب ولو كان في الفلك أو الجغرافيا الحديثة « وجدها تغرب في عين حمة » أي خيل له أنها تغرب في العين كما يخيل ذلك لكل من وقف على ساحل البحر وقت الغروب فانه يرى الشمس كأنها تغيب في البحر ولذلك نسب القرآن الامر إلى وجدان ذي القرنين فقال « وجدها » ولم يقل مثلاً « حتى إذا بلغ مغرب الشمس رآها وهي تغرب في العين » أو نحوه مما يفيد أنها تغرب فيها حقيقة

والعين كل ماء جار كما في قوله تعالى (٢٦ : ٥٧) فأخرجناهم من جنات وعيون) أي أنهار جارية وكقوله في وصف الجنة (٨٨ : ١٢) فيها عين جارية) وقوله « حمة » معناه ذات طين أسود وفي قراءة (حامية) أي ساخنة ولعل سخونة الماء ناشئة عن وجود ينبوع حار خارج من جوف الأرض بجوارها وإذا كان المراد مياه المحيط فقد تكون سخونها ناشئة عن التيارات المائية الآتية من خط الاستواء كما هو معروف للمطلعين على علم الجغرافية فإن المحيط الاطلانطي ينطبق عليه هذان الوصفان وهو كونه ذا طين أسود ويكون بعض مياهه ساخنة فلعل ذالقرنين وصل إليه بديره إلى نهاية أفريقية من جهة الغرب فان تيار الخليج (Gulf Stream) الآتي من ساحل أمريكا عند خط الاستواء ينقسم وهو ذاهب إلى الشمال إلى قسمين قسم يصعد إلى أوروبا وقسم ينزل إلى ساحل افريقيا الغربي ولون مائه أسود وهو ساخن (فان درجة حرارته لا تقل عن ٨٥ بمقياس فهرنهايت)

ثم قال « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا » والمعنى أنه سار إلى أرض المشرق حتى وصل إلى أول أرض تطلع عليها الشمس أي بحسب ما تعرف العرب من المسكونة ولعل ذالقرنين وصل إلى جبل عال من جبال آسيا ظن أنه نهاية الأرض أو وصل إلى ساحل الهند الشرقي فظن أنه نهاية العالم فلما وصل إلى تلك الجهة التي تسميها العرب مطلع الشمس أو المشرق وجد الشمس أول ما تطلع تطلع على قوم عراة الأبدان ليس لهم من دون الشمس وقاية وهذا هو حال الأمم المتوحشة الساذجة

واعلم أن أمثال هذه السياحات أو الفتوحات الكبيرة معهودة في تواريخ القدماء

كالاكندر المقدوني وغيره وكان ييسر لهم ذلك لعظم قوتهم وضعف الامم المجاورة لهم وبساطتهم وقلة عددهم بالنسبة لهم فكان يسير الفاتح العظيم منهم بمحيشه الجرار ولا يجد في كثير من الجهات أدنى مقاومة أو إذا وجد تكون في الغالب ضيقة

والغالب أن ذا القرنين هذا المذكور في القرآن هو أحد ملوك اليمن الحيريين فان العرب لا يعرفون ملوك غيرهم من الامم وما كانوا يسألون النبي عليه السلام عنها و (ذو) لفظة عربية محضة وردت كثيراً في ألقاب العرب أهل اليمن كذي بزن وذو كلاع وذو نواس . ونقل عن ابن عباس أنه سئل عن ذي القرنين المذكور في القرآن فقال هو من حمير . وقال أحد شعراء الحيريين

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يتنفي أسباب ملك من كريم سيد وكل ذلك يؤيد ان العرب ماسألوا النبي إلا عن ذي القرنين هذا المعروف عندهم ونظرا لاندراس التاريخ القديم عموماً وخصوصاً تاريخ العرب الاقدمين ولعدم الثقة بأكثر ما جاء فيه من القصص ولعدم اهتمام الأمم المتأخرة بشأن أهل اليمن لم يشتهر أمر هذا الفاتح الكبير بين الأمم الأخرى والمظنون أنه كان على زمن الخليل إبراهيم عليه السلام

قيل إن اسمه الصغب بن الرايش وقيل إنه أبو كرب شمس بن عير بن أفريقش . وكان ملوك اليمن يلبسون تاجاً له قرنان الغالب أنهم اقتبسوه من ملوك مصر . وأول من لبسه اشتهر بينهم بلقب ذي القرنين من أجل ذلك

وفي التاريخ القديم آثار كثيرة يدل على أن أهل اليمن كانوا قد بلغوا شأواً كبيراً من القوة والعظمة وأنهم تغلبوا على أقاصي البلاد وغزوا بابل وبلغوا الهند وفتحوا بلاد الفرس ويسمى غزو العرب لبلاد فارس في أحاديث الفرس « غزو ذوحاق » وكان ذلك قبل الميلاد بأكثر من ٣٠٠٠ سنة وقد أثار أهل اليمن أيضاً على بلاد المغرب وفتحوا مصر واستوطنوها ويسمون فيها بالمكسوس .

فلا يبعد أن يكون ذو القرنين المذكور في القرآن هو أكبر ملوكهم الفاتحين وقد بلغ ملكه أو سيره أقصى ما كان معروفاً إذ ذاك من بلاد المشرق والمغرب

وقد بني سدأ بين جبلين في جهة الشمال لا يعرف الآن موضعه لمنع يأجوج ومأجوج من التمدي على الأمم المجاورة لهم وهما قبيلتان شيرتان من القبائل القديمة المتوحشة وقد ورد ذكرها أيضاً في كتب أهل الكتاب (تلك ١٠ : ٢ وحز ٣٨ : ٢ و٣) وإذا علم الإنسان أن أكثر بقاع الأرض لم تظأها أقدام أحد من السائحين الباحثين أو الجغرافيين وإذا تذكر ما عرض لهذا السد عن التغيرات الطارئة عليه من الصدا ومن هبوب الرياح ونزول الأمطار ورسوب التراب وغيره عليه بل ربما تغطي بأشياء كثيرة مما يحملها سيل المياه على الجبال إذا تذكر كل ذلك أدرك شيئاً من أسباب عدم عثور أحد على مثل هذا السد وربما إذا رآه أحد الآن لا يمكنه أن يميزه عن سائر الجبل فقد يكون مغطى بطبقة حجرية مما أذابتها المياه وجعلتها إليه فجفت عليه

فإذا جاء يوم القيامة اندك هذا السد كما تدك جميع الجبال كما قال القرآن الشريف (١٨ : ٩٩ فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقاً)

هذا ومن تذكر إغارة المغول (التتار) وهم نسل يأجوج ومأجوج في القرن السابع الهجري على بلاد المسلمين والنصارى وما أتوه من الفساد في الأرض وما أوقعوه بالأمم المختلفة من القتل والسيب والنهب أمكنه تصور حصول هذا منهم مرة أخرى قبل مجيء الساعة كما قال القرآن الشريف (٢١ : ٩٦) حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ٩٧ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) ولا مانع من أن يكون ما حصل منهم سابقاً هو الذي أراده القرآن في هذه الآية ويكون قوله « واقترب الوعد الحق » كقوله (٩٣ : ١) اقتربت الساعة وانشق القمر) على أن الانشقاق حصل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو تعبير معهود في الكتب المقدسة إذا أنبأت عن الحوادث المستقبلية

﴿ المسألة الرابعة ﴾

﴿ يحيى بن زكريا ﴾

قال الله تعالى (١٩ : ٧ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً) يقولون ان يحيى هو يوحنا عند أهل الكتاب ويوحنا هذا اسم شهير عند اليهودسي به كثيرون قبل ابن زكريا فكيف يقول القرآن «لم نجعل له من قبل سمياً»؟
 ونقول لانسلم بان لفظ يحيى في القرآن هو تعريب لفظ يوحنا عندهم لان يحيى من الحياة ويكتب في العبرية هكذا (יחי) وينطق يحييه وأما (يوحنا) فهو الصيغة اليونانية للفظ (يوحنا) العبري ومعناه «يهوه-حنون» أي الله حنون. فهو اذا من الحنان لان الحياة وعليه يكون لفظ يحيى غير يوحنا وجود شخص مسمى باسمين كثير جدا وقد يكون الاسم الثاني لقباً له وأمثلة ذلك في كتب المهددين كثيرة جداً منها ان اسم بطرس سمعان واسم تداوس لبائوس وهما من تلاميذ المسيح (راجع متى ١٠ : ٣ و٧) وكان النبي عليه السلام يغير كثيراً من أسماء أصحابه فيشتهرون بما سماهم به رسول الله وعند جميع الأمم يوجد اشخاص لهم أكثر من اسم. هذا اذا لم قل ان تسمية ابن زكريا في العهد الجديد يوحنا هو من خطأ مؤلفي الانجيل باللغة اليونانية إذ يجوز انهم لم يحسنوا قل اسمه الحقيقي «يحييه» الى لقبهم

ويحتمل ان الاسم الذي بشر الله به زكريا هو (يحيى) ولما اشتهر عن يحيى الشقة والحنان بالناس كما قال القرآن في وصفه (١٩ : ١٣ وحنانا من لدنا) صاروا يلقبونه يوحنا حتى شاع بينهم ذلك أكثر من اسمه الأصلي الذي سماه الله به

وهناك وجه آخر في تفسير عبارة القرآن الشريف . وهو ان زكريا طلب من الله وارثاً له من نسله خوفاً من مواليه فبشره الله بان سيكون له ولد وسيكون اسمه يحيى وقال له ان هذا الاسم لم يسم به أحد قبله أي بينهم في أهله وعشيرته كما قال إنجيل لوقا ١ : ٦١ فقالوا لها - أي لأمه - ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم «فهره تعالى» لم نجعل له من قبل سمياً «أي في أهل زكريا الذين كان الكلام

معه في شأنهم والخطاب له فيمن يرثه منهم. هذا إذا سلم أن لفظ بجي هو عين يوحنا وأنه تعريب له

على أنه قد يكون المراد بالسمي السمي الحقيقي أي أنه لم يسم أحد قبل يوحنا بهذا الاسم وكان مثله في صفاته العالية وأخلاقه الطاهرة فكل من سمي قبله به ما كانوا يستحقونه لأنهم لم يصلوا إلى درجته في الشفقة والرحمة والحنان وقد ورد لفظ السمي في القرآن بهذا المعنى أيضاً في سورة مريم التي منها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقال تعالى «٦٥ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً» أي سمياً حقيقياً وإلا فقد اتخذ آلهة أخرى من دون الله كثيرون

المسئلة الخامسة

(السامري والمجل)

قال الله تعالى (٨٨: ٢٠) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَباً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا الْمَكْمُ وَإِلَهُ مُوسَى — إلى قوله — ٩٥ قَالَ فَاخْطُبْكَ يَا سَامِرِيُّ ٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي « رجحنا في (مقالات الدين في نظر المقل الصحيح) أن لفظ السامري علم لشخص من بني إسرائيل يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عند قدمائهم . انظر مثلاً سفر أخبار الأيام الأولى (٤ : ٣٧ و ١١ : ٤٥ و ٢٦ : ١٠) ولما عرب هذا الاسم أبدلت الشين المعجمة بالسين المهملة كما هي العادة في تعريب العبري وأدخلوا عليه أل كما أدخلوها على غيره من الأعلام المعربة كلفظ (الجودي) وهو اسم جبل ولفظ (السموأل) وهو علم لأحد نابغي شعراء اليهود من العرب . وتسمى زيادة أل في مثله زيادة لازمة كما يقول النحاة . وهو معرب من لفظ (شموئيل) والتغيير الذي حدث فيه كالذي حدث في لفظ (شمري) فأبدلت الشين سيناً وزيدت عليه أل مع تغيير طفيف في الكلمة . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الأعلام المنقولة إليها فانظر الفرق بين لفظ مختصر وأصله .

(نبوخذناصر) ولفظ عيسي وأصله يشوع . وغير ذلك كثير جداً يعرفه المطلعون على بعض اللغات الأجنبية وما فيها التفسير والتحريف في الأعلام . واعلم أن لفظ السامري الوارد في القرآن كانت تكتبه العرب (السمري) وكذلك كتب في مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الآفاق . ولعل في ذلك إشارة إلى أصله العبري الذي ذكرناه هنا وإن كانوا ينطقونه السامري . وليست الياء فيه للنسبة بل هي كالياء في لفظ الجودي بالتشديد وأصله جوردي بدون تشديد

قال تعالى (فأخرج لهم) أي صنع لهم السامري (عجلاً جسداً) أي تمثال عجل ولكنه جسد بلا روح فان لفظ الجسد يطلق غالباً على الحي إذا مات أو ما كانت صورته صورة الحي ولكنه جاد كذا العجل الذي صنعه السامري من الحي وكمائيل الحيوانات فاتها كأجسادها بعد المات لا حياة فيها (له خوار) أي صوت يشبه صوت العجل ولعله توصل إلى ذلك بالصناعة مع الحيلة كأن يضع فيه ما يشبه المزمار ويسلط عليه آلة نافخة لا يشعر بها الناظرون

وأما هذه الحيل كثيرة يفعلها الدجالون في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى (قال فما خطبك يا سامري) أي قال له موسى ما شأنك وما الذي حملك على ما فعلت (قال بصرت بالميم بصروا به) أي علمت ما لم يعلموا وأدركت ما لم يدركوا (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي أخذت بشيء من تعاليم هارون الذي استخلفه فيناواقفت أثره فيها فلم يرق لي شيء منها . وسمى هارون بالرسول لأنه هو وموسى كانا يسميان كذلك بين بني إسرائيل فان الله قال لما (٢٠ : ٧) قولا (إنا رسولا ربك) وعدم اعتقاد السامري بصحة هذه الرسالة لا ينافي أن يقول ذلك من باب التهم كما كانت قريش تهكمون على رسول الله ويقولون له (٧ : ٢٥) ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ثم قال السامري (فقبضتها وكذلك سولت لي نفسي) أي فرفضت ما أخذته من تعاليم هارون بعد تجربتي له وهذا ما مالت إليه نفسي التي علمت ما لم يعلم غيري . هذا هو التفسير الصحيح الذي يتبادر من هذه الآيات ولا يمكن لأي عربي أن يفهم منها سواه لولا ما حشاه به أكثر

المفسرين من انحرافات وهو يقارب ما ذهب إليه محقق المفسرين أبو مسلم الاصفهاني وارتضاء منه فخر الدين الرازي وعمره

(٩٧ قال) له موسى (فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تُخلفه وانظر إلى الملك الذي ظلمت عليه كفاً لتُحرقه) أي لنبودنه ويؤيده قراءة « لتُحرقه » بفتح النون وكسر الراء وضبطها خفيفة (ثم لتُنسفه في اليم نسفاً)

فان قال قائل ما بالقرآن في الكلام على هذا العجل يأتي بما يحتمل أنه كان حياً وإن كان ذلك بعيداً من عبارته ؟ قلت جرت عادة القرآن في أمثال هذه المسائل العرضية البسيطة أن يأتي بالتعبير الذي لا يصادم اعتقاد الجمهور مصادمة لا قبل التأويل حتي لا يكون ذلك صادراً لهم عن النظر فيه أو شاغلاً لهم عن البحث فيما أتى به من جوهر الدين كما هي طريقة الحكماء . فالظاهر أن أهل الكتاب من العرب كانوا يعتقدون أن هذا العجل صار حياً وربما كان عندهم من رواياتهم واحاديثهم ما يحملهم على هذا الاعتقاد فلم يرد القرآن ان يشتغل معهم بأمثال هذه التافهات فأتى لهم بما لو سمعوه قبلوه وما لو سمعه العلماء المحققون لأدركوه وفهموه ولذلك تراه مثلاً ينص على دوران الأرض بقوله (سنة ٢٧ : ٨٨ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) في سياق يحتمل أن يكون ذلك مما يحصل يوم القيامة وإن كان ظاهر الآية يبعد عن هذا الاحتمال الذي لا يزال مقبولاً عند الجهلاء . هل أن معنى الآية الصحيح لا يخفى على العلماء . فان القرآن قد أتى للعامة والخاصة والمنحطين والمرتبين قلداً تنوعت أساليبه وسحر بيانه عقول الجميع وبذلك لم يخطئ الغرض . ولم يشتغل عن الجوهر بالعرض .

سورة المسألة السادسة

(تكوّن الجنين)

قال الله تعالى (٢٣ : ١٢) ولقد خلقنا الانسان من سُلالةٍ من طين ١٣ ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغنةً فخلقنا

المُضَفَّة عظامًا فكسونا العظام لحاء ثم أنشأناه خلقًا آخرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٥ ثم إنكم بعدَ ذلكَ لَمِيتُونَ ١٦ ثم إنكم يومَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) اشتملت هذه الآيات على جميع أطوار الإنسان في حياته وما يمر به من التغيرات من أول وجوده الى يوم يمته

(الطور الاول) « وقد خلقنا الإنسان من سلاية من طين » أول الاحياء في هذا العالم لاشك في انه خلق من مادة الأرض مباشرة ثم ارتقت الحال بعد ذلك فصارت الاحياء تتكاثر باقسام الخلالا ثم بالتلقيح الذي يعقبه الانقسام (ومنى التلقيح اختلاط عنصر الذكر بعنصر الانثى) فان الانسان في طوره الاول كان طينا واذا نظرنا الى الانسان من جهة اخرى وجدنا أن الحيوانات المنوية والبويضات التي يخلق منها الانسان مخلوقة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الحيوان والنبات وكلاهما من الأرض أي الطين

(الطور الثاني) « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » النطفة الافراز تطلق على المني ولا مانع من اطلاقها أيضا على بويضات المرأة التي يفرزها المبيضان (١) ولم يذكر القرآن بويضات المرأة صراحة لأن ذلك غير معروف لجاهل الناس وهو لم يأتي لتعليمهم أمثال هذه الاشياء وإنما هو يؤيد قضاياه بما يعرفونه ولا ينكرونه واكتناؤه بذكر المني دون غيره في أكثر المواضع لا يدل على أن الانسان لا يخلق من شيء آخر معه إذ ليس في عباراته ما يدل على الحصر فالطور الثاني طور النطفة وهي من الرجل ما فيه الحيوانات المنوية ومن الأنثى ما فيه البويضات فاذا حصل التلقيح بدخول رأس الحيوان المنوي في البويضة استقرت في الرحم والمراد باقرار المكين أعضاء الانثى الداخلة (البوقان والرحم) وهي التي يحصل فيها التلقيح ثم التكوين ولا شك أن حيوان الذكر وبويضة الانثى يسبحان قبل التلقيح وبعد في قليل

(١) المنار: النطفة في الاصل الماء أو كل سائل فيصنع اطلاقه على ماء الرجل الذي فيه الحيوانات المنوية وعلى ماء الانثى الذي فيه البويضات اذ كل منهما سائل

من سائل مخصوص ومجموع ذلك هو النطفة وهي التي تستقر في الرحم
(الطور الثالث) « ثم خلقنا النطفة علقه » وذلك بانقسام البويضة بعد
التلقيح بالحيوان المنوي إلى أقسام كثيرة تكون كتلة صغيرة تشبه العلقه وخلاياها
كلها متشابهة

(الطور الرابع) « فخلقنا العلقه مضغه » وهي قطعة أكبر من العلقه قدر
ما يضع في الفم مركبة من عدة خلايا ناشئة من انقسام البويضة الأصلية بعد تنفيذها
في جدار الرحم وما أحيطت به من سوائل زلالية
(الطور الخامس) « فخلقنا المضغه عظاماً » أي حولنا بعض خلايا المضغه
التي كانت كلها متشابهة إلى خلايا أخرى تصير بالتدريج بعد هذا التوزيع عظاماً
(الطور السادس) « فكسونا العظام لحماً » أي حولنا الجزء الباقي من المضغه
إلى أنسجة رخوة ذات خلايا متغيرة في شكلها للخلايا الأصلية وهذه الأنسجة
تكون كاسية للخلايا الآخذة في التحول إلى عظام فينما تجد بعض الخلايا يتحول إلى
عظام تجد البعض الآخر يتحول إلى لحم وشحم وغيره يكسو هذه العظام
(الطور السابع) « ثم أنشأناه خلقاً آخر » أي بعد تمام خلقه وولادته يصير
بالتدريج إنساناً عاقلاً مدركاً مفكراً بعد أن كان لا يعلم شيئاً كما قال تعالى (والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة) الآية فالشيء الذي كنت تراه لا يدرك وجود نفسه يصبح محيطاً
بالكون بعقله ويخترق الحجب بفكره « فبارك الله أحسن الخالقين » . وعبرنا
بم تراخي ذلك عن زمن تمام التكوين

(الطور الثامن والتاسع) « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » ثم إنكم يوم القيامة
تبعثون » فهذه هي الأطوار الانسانية التي تستفاد من هذه الآيات الشريفة
ويجب الاعتراف هنا بأن هذه الآيات لم تصف هذه الأطوار بالتفصيل
كما يصفها الفسيولوجيون وإنما وصفها بأجمال خال من الوهم والخطأ داع إلى التفكير
في قدرة الله والتدبر في أعماله وهو ما يريده القرآن الشريف ولا يريد تدريس
علم تكون الجنين للناس ولا غيره من العلوم الدنيوية فلذا لا ينتظر من مثل هذا

الكتاب العزيز ان يدخل فيما ليس من غرضه الاطئاب فيه لأن الناس يصلون
إليه من غير طريق الوحي

المسألة السابعة

﴿ ميراث بني إسرائيل الأرض من بعد فرعون ﴾

قال الله تعالى (٥٧: ٢٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٨ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ
٥٩ كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ) ومن المعلوم أن بني إسرائيل من بعد
غرق فرعون وقومه لم يرثوا أرض مصر بل خرجوا منها فلما معنى هذه الآية إذا ؟
ذهب محققو المؤرخين إلى أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثاني
وقد خضعت بلاد الشام لمصر في عهد رمسيس الثاني وكان من عاداته ان يقي
فرقة من العساكر المصرية في البلاد التي يفتحها ليستوطنوها ولينشروا فيها عاداتهم
واخلاقهم فكانت بلاد الشام مستعمرة تابعة لمصر ومحتلة بجزء من جيشها وكان
المصريون ينجون من خيراتها ويتسمون بها وبعضهم يذهب اليها ليقم فيها تحت
رعاية دولته كما يفعل الاوريون الآن في الممالك التي يستعمرونها ودام الحال كذلك
الى عهد منفتح بن رمسيس هذا وفي عهده كان خروج بني إسرائيل من
أرض مصر

إذا علمت ذلك فاسمع تفسير ما قال الله في القرآن الشريف (فأرسل فرعونُ
في المدائن) التابعة له كبلاد مصر والشام (حاشرين) يجمعون إليه جيشه وقومه
المستوطن في هذه البلاد قاتلاً لهم (ان هؤلاء شر ذمة قليلون . وانهم لنا لعائنون
ولنا جميع حذرون) ثم قال الله تعالى (فأخرجناهم) أي المصريين (من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم) في مصر والشام (كذلك وأورثناها بني إسرائيل)
أي أورثناهم ما كان يتمتع به المصريون من جنات الشام وعيونها وكنوزها ومقامها
الكريم فان ذلك قد آل إلى بني إسرائيل ولذلك قال تعالى في آية أخرى في
هذا الموضوع (١٣٧ : ٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ

الأرض ومغاربها التي بارَكنا فيها وَوَمَت كلمة رَبِّكَ الحسنَى على نبي إسرائيل (والأرض التي بارَك الله فيها هي أرض الشام كما جاء في آيات أخرى كثيرة في القرآن الشريف كقوله (٢١ : ٧١) وَنَجِيْنَاهُ وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا الْعَالَمِينَ) وقوله (١٧ : ١) سَبْعَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ سَبْعَةَ لَيَالٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) فَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذَا أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ يُفسر بعضها بعضاً وإن المراد من ميراث نبي إسرائيل لما تركه المصريون هو ما كان لهم ببلاد الشام (المسائل بقية)

باب المناظرة والمراسلة

٣

حجة بحث النسخ

قال حضرة الدكتور: وإذا قشنا الأحاديث — إلى أن قال — فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الإمام الشافعي رحمه الله وليس فيه منسوخ مطلقاً كما قال أئمة بعض المفسرين كأبي مسلم الأصفهاني وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل واتى بكلام ثم قال: «والذي نراهم أن العقل لا يستبقي وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ أو أن الرسول (ص) يبين ذلك بيانا يتقل متواتراً ويتفق عليه عملاً بين المسلمين الخ والنظر يرى بأديء بدء بعد المقارنة بين كلام حضرة الدكتور أن قوله والذي نراه نحن الخ هو رجوع منه ونسخ لقوله فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة، لأنه إذا كان النسخ هو كما ذكر إبطال حكم إلى بدل أو لغير بدل وجاز أن يقبل قول الرسول (ص) هذه الآية منسوخة لا إلى بدل مثلاً في حق من علم صدور ذلك القول منه (ص) فما ذلك إلا قول بجواز نسخ القرآن بالسنة وهو